

رواية الأرض السائبة

للكاتب
الحسن تيت بلال



إهداء

**إلى أمي الحبيبة أهدي هذه الرواية...
وإلى أخي وشقيقي يحي
وإلى كل الأصدقاء الأعزاء...**

كان الملك نائما في قلعته فرأى في منامه نارا تخرج من تلقاء بني إسرائيل متجهة نحو بني القبط لتحرقهم ، فانتبه مذعورا فزعا ، وصاح بأعلى صوته حتى أيقظ كل من كان في القلعة.

وبات تلك الليلة قلعا تهاجمه الأهاجيس ، وتعصي عيناه النوم، وفي الصباح الباكر استدعى الكهنة وطلب منهم أن يؤولوا له رؤياه فأحجموا أول الأمر ، ولكنهم لما رأوا إصراره أخبروه أن تلك الرؤيا التي أوريها في المنام تدل على أن طفلا من بني إسرائيل سيولد وسيكون زوال ملكه على يده فنكس رأسه وعربض كثيرا ؛ ثم تاب إليه صوابه ؛ ثم قال لهم: ماذا ترون أن أفعل لكي أمنع هذا الخطب الذي أوشك على المجيء ؟؟

فقالوا له : يامولاي نرى أن تقتل كل طفل يولد لبني إسرائيل . واستمرت الأيام وهم على تقتيل أولاد بني إسرائيل مستمرون وفي غيهم يعمهون حتى كثرت عندهم الجواري و أوشك على النفاد عندهم الغلمان ، فقال الوزير يامولاي : إن استمررت

في ذبح الأولاد الذكور فلن يبق عندنا من يخدمنا ويساعدنا
في الحروب والتجارة ، والرعي والفلاحة ، فقال الملك : إذا
نذبحهم سنة ، ثم نذرهم سنة أخرى .

فولد سلمان سنة الترك ، وولد عمار سنة الذبح .

وذات ليلة أجاى مارية المخاض إلى دارها ، وشعرت بقرب
وضعها فجعلت تتألم من شدة الطلق ويزداد عليها الألم أكثر
فأكثر عندما يجول في خاطرها أن وليدها وفلذة كبدها سيذبح
بعد حين من وضعه كما يذبح جدي الماعز بكل برودة
أعصاب .

وماهي إلا دقائق معدودات حتى استهل عمار صارخا ليخرج
من رحم أمه الدافىء إلى عالم ملاء الناس بالشرور والآثام ،
ماذنب ذلك الطفل الذي سيقتل ويحرم لذة الحياة ؟ بل ماذنب
أولئك الأطفال البراعم الذين قتلوا قبله تقتيلا ؟

إن قلب هذا الإنسان قاس مثل الحجارة يفعل كل شيء من
أجل إشباع رغباته الأنانية .

نظرت مارية إلى عمار وهو في مهده بعد ساعات من ولادته
فتحركت فيها عاطفة الأمومة ، فقالت مخاطبة عمارا : والله
يا بني إن الذي سيقترك لقلبه يقطر شقاء .

و بينما هي كذلك إذ سمعت هاتفها يقول : أبشري يا أم عمار
إن ابنك هذا لن يصيبه مكروه أرضعيه و ضعيه في تابوت
ثم ألقيه في نهر صنهاجة ، ولا تخافي ولا تحزني سيرجع
إليك ..

فأطرقت تلك المرأة المسكينة المتقطع فؤادها على رضيعها
برهة ، ثم قبلته ، ثم جعلته في التابوت، فقذفته في النهر
والدموع تبل خمارها من الأسى على صغيرها .

ولما ألقى مارية رضيعها في غيابات النهر جعلت الأمواج
تسوق تابوته وتحدوه بحنان ورحمة حتى اختفى أمام ناظرها
وهي ترمقه ثم ترفع طرفها نحو السماء تهمهم بدعوات
وابتهالات إلى رب الناس .

وبينما الصيادون يصطادون على ضفة النهر إذ طلع عليهم
تابوت عمار ، فأخذه صياد منهم وكان ذاك الصياد من جملة

من يعملون في قصر الملك ، وقد ألقى الله على عمار المحبة
حيث كان لا يبصره أحد إلا أحبه وتعلق به .

وإذ أنهى الصياد عمله فذهب بعمار إلى الملك ، وعندما
أدخله عليه فرحت به زوجته جذلا شديدا ، وقالت للملك : يا
مولاي قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه
ولدا!!

قال لها لك ما أردت ولكنني لست مرتاحا لهذا الصبي ،
فغرقت في الضحك قائلة : مولاي يهابه الشجعان ويخاف من
الصبيان .

أخذ عمار يبكي فقال الملك : ما به ؟ قالت زوجته : لعله
يشعر بالجوع ، فنادوا على جارية عندهم في القصر لترضعه
لهم ولكنه امتنع من أن يطعم ثديها ، فأمر الملك أن ينادى في
المجامع والأسواق أن الملك يريد من ترضع له ابنه ولها أجر
وإنها لمن المقربين .

ولما سمع النسوة بذلك اجتمعن طابورا ممدودا ذات اليمين
وذات الشمال طمعا أن ينلن جائزة الملك وحظوته .

وكانت أم عمار بين تلك النسوة وفؤادها يخفق إن كادت لتبدي به لولا أن ربط الله على قلبها .

فجعل النساء يدخلن واحدة تلو الأخرى وعمار يزيد إصرارا و امتناعا عن الرضع حتى دخلت عليه أمه فتنفس عطر حنانها وشعر بدفء حضنها وحلاوة ثديها فطفق يرضعها وماهي إلا لمحة بصر حتى نام ، فصار البشر والسرور يتنزل على أم عمار ويفيض من قلبها وتتمايل كل شعرة من جسدها طربا تمايل الأغصان حركتها الرياح في اليوم العاصف ، فأعجب الملك صنيعها فشكرها وقرر أن تعيش معه في قصره كي تتعهد ابنه برعايتها ويغدق نعمه عليها .

ولما بلغ عمار أشده وقوي عوده خرج ذات يوم يتجول في السوق فإذا رجالان يقتتلان هذا من بني إسرائيل وهذا من بني القبط ، فاستغاثه الذي من بني إسرائيل على الذي من بني القبط فضربه عمار فقضى عليه ولم يرجع عمار ذلك اليوم إلى القصر لأن يخاف من الملك ، لأن الملك أوعده بالعقاب الشديد عندما سمع بالخبر .

طلعت الشمس حسناء ترسل أشعتها الفضية لتضيء للبرية
يوما جديدا ، خرج عمار يمشي في أحد شوارع المدينة على
وجل ، فبينما هو كذلك إذ أتته عجوز تمشي على عكازها
قداحدودب ظهرها من الكبر ، فقالت له يا بني : إن الملائكة
يأترون بك ليقتلوك فاخرج من هذه المدينة إني لك من
المحذرين .

فخرج من المدينة خائفا مفزوعا يتربقب فقال في نفسه : عسى
أن يهديني ربي سواء السبيل .

سار عمار على شاطئ نهر صنهاجه حتى بلغ جزيرة "
تيدره " ، فوجد عند مدخلها أمة من الناس يعدون زوارقهم
للذهاب إلى الضفة الأخرى ، وألقى من دونهم فتاتين
تتربصان ، فلفتا انتباهه

فمر من حذائهما وشرع يسألهما ما خطبكما قالتا : نريد من
يقود لنا زورقنا هذا ، وأبونا رجل مريض ، فعرض عليهما أن
يقود لهما زورقهما فقبلتا مع تعجب وتردد عجيبين .

فركب الزورق وركبت الفتاتان حذاءه وجعل يسوق الزورق
بحذاقة وسكينة حتى أشارتا إليه أن وصلتا فأوقف الزورق
وربطه في حلقة قريبة من النهر معدة له ، ثم تولى إلى ظل
نخلة كانت غير بعيدة من هناك ليستغل بها ويسريح تحتها .
ولما وصلت الفتاتان إلى أبيهما تفاجأ من مجيئهما مبكرتين
فسألها عن سبب مجيئهما مبكرتين ، فأخبرتهما بخبرهما وما
كان منهما مع عمار فسر بذلك وسألهم أين تركتموه ؟
فأجابتهما أنهما تركتاه عند ضفة النهر ، فأمر صغراهما زينب
أن تذهب إليه وتخبره أن أباهما يدعو للمقبل عندهم لكي
يشكره على صنيعه بابتنتيه .

أوى عمار إلى ظل النخلة وكان يشعر بتعب شديد فجعل
نسيم النهر يداعبه قليلا حتى بدأ النعاس يتسلل إلى عينيه
فبينما هو كذلك إذ بذلك الصوت الملائكي الذي يتسلل إلى
أذنيه بعطف وحنان السلام عليكم ، فانتبه شبه مذعور فإذا
بها فتاة حوراء العينين ترسم على شفثيها ابتسامة أحلى من

العسل وأشهى من الخمر المعتقة ، فجعل يستعيد وعيه فعرفها
فرد عليها التحية باهتمام ...

قالت له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما صنعت لنا ، فسارا
معا دون أن ينبشا بكلمة حتى وصلا.

ولما وصلا رحب به أبوها أيما ترحيب ثم قدم له القرى ثم
سأله عن أخباره ، فقص عليه عمار القصص فقال له أبو
زينب: لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

قالت صغراهما زينب يا أبتى : استأجره إن خير من استأجرت
القوي الأمين ، فقال أبو زينب: إني أحب أن أزوجك بواحدة
من بنتي هاتين ، ولكن على أن تقيم معي أربع حجج ، فقال
عمار : قبلت ورضيت ولكن يا سيدي قد أمكث معك ثلاث
أو أربع سنوات .

قال أبو زينب : ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا
تثريب عليك ، وربنا على ما نقول شهيد .

ثم مكث عمار مع أبي زينب ماشاء الله أن يمكث بعد أن تم
عقد القران بينه وبين زينب .

ثم سار بأهله قافلا إلى أهله بمدينة نواكشوط ، فحزن لذلك أبو زينب وهو يقول له معاتبا : ستذهب وتذرني بعد أن أشتعل شيبني ووهن عظمي .

فيجيبه عمار بهدوء واحترام ماذا عساي أفعل يا أبتني لا حيلة بيدي ولا خيار عندي لولا الزمان لما افترقنا ، ولكن لا خيار مع الزمان ، غير أنني أعدك أن ازوك قريبا ...

ولما توجه عمار بأهله تلقاء مدينة نواكشوط جن عليه الليل وهو في الطريق ، وكانت الليلة ذات بردقارس ، فعرس في الطريق من الوادي المبارك .

ثم قال لامرأته زينب امكثي ههنا لعلني آتيك بنار نصطلي بها .

وبينما هو سائر إذ رأى نارا فأسرع تلقائها .

وعندما جاءها لم يجدها نارا وإنما ألفاها نورا .

وحين أتى عمار إلى ذلك النور الذي حسبه نارا ناداه بلال الولي يا عمار إنني أنا بلال الولي فاخلع نعليك إنك في الوادي المبارك ، وأنا اخترتك فلاتخف وانصت لما سيحكى .

ولما سمع عمار كلام بلال الولي وذهب عنه الروح حياه تحية تليق بقدره ، ثم دخل بخشوع عليه زاويته .

ثم قال له بلال الولي : يا عمار ستذهب إلى بني إسرائيل وتخلصهم من بني القبط .

قال عمار : إنني أخاف أن يقتلوني ولعلمهم لا يستجيبون لي . فقال بلال الولي : لاتخف سأباركك وهذه عصاي اذهب بها هي لك علامة أخرى .

وإذ بارك بلال الولي عمارا و أعطاه عصاه سار إلى بني القبط ، تاركا زوجته في جانب الواد المبارك فأصابها المخاض فقيض الله لها جماعة من الجن ، وكان من بينهم جنية تحسن القبالة فجعلت تساعدها حتى وضعت ، ثم أعادوها إلى أبيها .

وعندما وصل عمار إلى المدينة ذهب إلى كرفور مدريد وصعد على قمته ، ثم صاح بأعلى صوته يا أهل المدينة إنني لكم نذير وجعل يكررها .

فاجتمع إليه خلق كثير فجعل يحدثهم ويحرضهم على أهمية الخروج على حكم بني القبط .

فقال له شيخ قد تدلى حاجباه على وجهه واحدودب ظهره حتى عاد العرجان القديم يدعى امبيريك : يا بني لاتحملنا ما لاطاقة لنا به ، يا بني ليس بأيدينا حيلة لقد تعودنا منذ نعومة أظفارنا أن يسومنا بنوالقبط سوء العذاب فلا تجدد علينا أحزاننا .

فقال له عمار : يا أبتى لا تقنط من رحمة الله عسى أن يهلك الله عدوكم ويورثكم الأرض من بعده ، فعلينا يا أبتى أن تتحلى بالصبر وسيكون غدا بإذن الله مشرقا ...

استوت الشمس في كبد السماء كأن عقارب الساعة توقفت ليكون ظل كل شيء مثله ها هو عمار يتيمم بيته بعد نقاش صاخب طويل دام قرابة ساعات بينه وبين بني إسرائيل .

وبعد لأي استطاع أن يوقظ فيهم روح النضال والكفاح من أجل الحرية، حيث التقى بأمه بعد سنوات من فراقهما .

مارية : أي بني ، لقد اشتقت إليك ، لماذا أطلت الغياب عني
... ؟

عمار آه يا ماه ، لو تعلمين كم أشتاق إليك أيضا وإلى أخي
سلمان أين هو ؟

مارية : إنه في حانوته الذي يعمل فيه ، سيعود مساء ، ولكن
أخبرني يا بني عنك ، وعن سبب غيابك الطويل لا بد أن
ورائك خطب عظيم .

عمار : حسنا يا أماه ، سأخبرك بكل شيء ولكن ليس قبل أن
أستريح ، ويحين المساء ويأتي أخي سلمان من دكانه عندئذ
سأخبركما بكل شيء معا .

مارية : حسنا بني كما تشاء ، اذهب الآن إلى غرفتك لتستحم
وتغير ملابسك ، وتأخذ نصيبا من الراحة ، وأنا سأذهب إلى
المطبخ لأعدلكما الطعام ريثما يأتي أخوك سلمان .
عمار : حاضر أمي ... سمعا وطاعة .

ولما جن المساء ، وعاد سلمان من دكانه جلس الثلاثة على
المائدة لتناول العشاء ، بدأعمار يقص عليهم أخباره بالتفصيل

بدأ بخروجه من المدينة ولقائه بالفتاتين وأبيهما وزواجه
بإحداهما ولقائه ببلال الولي وتكليف بلال إياه بمهمة تحرير
بني إسرائيل من يد بني القبط الذين يسومنهم سوء العذاب...
وعندما سمعت مارية هذه الأخبار أصابها خوف شديد على
ابنها فقالت له يا بني وعيناها تترقرق دموعا : يا بني لما تصر
على أن تلقي بنفسك إلى التهلكة؟! أليكفيني من المصائب
ما أصابك و أنت صبي؟! ، والآن بعدما صرت رجلا لك
زوجة تنتظرك وأولاد ترمي بنفسك في هذا القاع المظلم ، آه
عليك يا بني ، لهفي عليك .

ثم رفعت طرفها إلى السماء مستفهمة إلهي لم كتبت علي هذا
الشقاء؟ رميت ولدي في غيابات النهر وهو صبي ، ثم
نجيته وبعدها طمعت به أخرج من أرضه طول هذه السنين ،
والآن تبعته بقدميه إلى حبل مشنقته .

ومنذ ذلك الحين صار عمار يخرج كل يوم إلى النوادي
والأسواق ينشر فكرته ودام ذلك ثلاث سنين .

وعندما بلغ أتباع عمار ثلاثين رجلا اتخذ دارا لرجل يسمى مسعود لاجتماعاتهم ولقاءاتهم السرية .

وكان مسعود من العمال الذين يعملون في قصرالملك ، الأمر الذي ساعدهم على اخفاء أمرهم لأنه من الصعب أن يشك أحد فيهم ماداموا يجتمعون في دار مسعود وهو من أعوان الملك ، ولكن الجُدْر لها آذان ولايبقى شيء سرا دائما فوشى بهم رجل منهم يقال ابن سلول كان جاسوسا بينهم وهم لم يفتنوا له عندالملك.

ولما وشى ابن سلول بعمار وأصحابه عندالملك أرسل الملك جنوده إلى دار مسعود ليفتشوها فوجدوهم مجتمعين كالعادة فأخذوهم على حين غفلة ، فقيدوهم بالأغلال ، ثم ساقوهم إلى قصر .

وعندما جيء بعمار وأصحابه إلى الملك مقرنين بالأصفاد ، وأوقفوا بين يديه وهو في كامل شارته والغلمان يطوفون حوله.

قال الملك لعمار ألم نربك فينا وليدا وقضيت في قصرنا عمرا طويلا وقد اتخذناك ولدا ، ثم فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الجاحدين .

قال : أجل فررت منكم عندما خفت على نفسي منكم فوهبني الله فكرا لتحرير بني جلدتي ، أتمن علي أيها الملك أن عبدت بني إسرائيل .

عربض الملك وزمجر واشتعل غيظا قائلا : أي عمار ما آية صدق كلامك فرمى عمار عصاه فصارت تتيينا له ثلاثة رؤوس في كل رأس ثلاثة أفواه ترمي بالشرر .

فقال الملك: هذا الساحر عليم ، وأردف أبلغ من سحرك أيها عمار ما تفعل وتفعل ، ثم التفت إلى ملئه من حوله فقال : ماذا تأمرون ؟ قالوا : أرجه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم .

قال الملك : يا عمار اجعل موعدا نتفق عليه لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى .

قال : عمار موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى .

وسيق عمار ومن معه إلى السجن زمرا حتى إذا أدخلوا السجن وجن عليهم الليل تفرقوا زرافات ووحدانا وباتوا ثلاث ليال أو يزيدون يصلون ويبتهلون إلى الله أن ينصرهم على بني القبط وكان عمار أكثر أصحابه صلاة وابتهاالا وتضرعا إلى الله تعالى حتى سقط الرداء عن عاتقه ، وكان مسعود يقول له : يا سيدي هون عليك ربما يستجيب الله دعائك .

وكانت أم عمار قد ضاقت عليها الأرض بما رحبت وهمت أن تذهب إلى الملك فتلقي مهجتها بين يديه فداء لابنها ولكن ابنها سلمان كان يمنعها من ذلك شفقة عليها ورحمة لها . طلعت الشمس ترسل أشعتها حسناء لتخلع عن العالم جلاباب الظلماء ، كان الجو معتدل والسماء صافية والعصافير تحط حينا وتطير حينا آخر .

بدأ يوم الزينة يقترب كأن الحال يؤذن بفوز عمار وأصحابه في هذه المعركة ولكن الحقيقة ماتزال في حجب الغيب .

أصبح حديث أهل المدينة لا ينفك عن موعد يوم الزينة وعن من ستكون له الغلبة هذا حديثهم صباحا ومساء فرادى وجماعات في الأسواق وفي المنازل .

المشتري : أريد كيلين من اللحم .

الجزار : حسنا هل سمعت شيئا عن عمار وأصحابه !

المشتري : اغضض من صوتك يارجل جنود الملك وقد يسمعوننا أحدهم فيلقوا القلض علينا .

الجزار : حسنا سيدي .

المشتري : بصوت خافت ، ولكن سمعت أن عمارا وأصحابه في السجن اما بقية الأخبار فسنعلمها في يوم الزينة .

الجزار : حسنا إذن ...

المشتري : وداعا عليك بالحدز والدعاء لعمار وأصحابه .

الجزار : وهو كذلك، إلى اللقاء يوم الزينة يجمعنا ...

جاء النهار يتسلل كاللص حذرا من أن يراه أحد ، فتح الملك نافذة غرفة النوم التي تطل على الحديقة فجعل ينظر إلى الضياء الذي يتخلل النافذة تارة وينظر إلى العصافير التي

تزقزق على الأغصان تارة أخرى، والجداول التي تنساب
بالمياه عندما يعانقها ضوء الشمس تشكل لوحة فضية في
اللمعان لا مثيل لها .

تنفس الصعداء وجمال بخاطره أفكار متنوعة ينازع بعضها
بعضاً ... ترى هل أفوز اليوم على عمار أم لا ؟ ...
سيفوز علي ... لا لا ... أنا الفائز ، أنا الفائز .
اغلق الملك نافذة خياله الاستبدادي ، ثم نادى أيها الحاجب
مستهتر ...

فلبى الحاجب نداءه بسرعة البرق: لبيك مولاي !!
بجسم منحني وقلب يرتعد وصوت منخفض مبعثر الكلمات.
الملك جهزوا لي الفطور اليوم يوم الزينة ...
الحاجب سمعنا وطاعة مولاي الملك ..

ولما انتهى الملك من فطوره توجه تلقاء ساحة الحرية التي
ستقام فيها المبارات بينه وبين عمار والتاج فوق رأسه
والغلمان والجواري والجنود يحيطون به ثم نصب له كرسي في
وسط الساحة له قوائم كبيرة كل واحدة منها مرصعة بالألماس

والجواهر النفسية ثم وضع فوق الكرسي السندس والاستبرق
وفتت المسك والكافور على أرضية الساحة كان عمار ما يزال
في السجن فقد بات ليلته تلك يدعو الله ويبتهل إليه كان ثابت
الجأش ساكن الجنان جالسا بين أصحابه يحدثهم و يبث روح
الأمل والقوة فيهم وهم يستمعون إليه باحترام واهتمام قاطعه
صمب قائلًا وقد انهملت من مقلتيه دمعة تذيب حرارتها
الصخور سيدي نفسي فداؤك دعني أخرج عنك وتصايح
أصحابه كلهم نفوسنا فداؤك سيدنا حتى جاء الحراس ينظرون
قال لهم عمار وهو يبتسم لا تخافوا علي يا رفاق لن يحدث
إلا ما كتب الله ثم أردف قائلًا : ما بالكم برجل الله معه...

دقت الطبول وكسرت أفواه أوعية الخمر ، وتمايلت الجواري
رقصا وغناء امتلأت الدنيا ألحانا.

وجيء بعمار ورفاقه إلى ساحة الحرية قال الملك : يا معشر
القبط أليس لي ملك هذه البلاد؟ وهذه الجنود كلها تحت
إمرتي وفي قبضتي أنا خير ام عمار وهذه الشرذمة الذين

ستشهدون إعدامهم سيكونون مثالا لكل من سولت له نفسه
مناذتنا .

قال السحرة : يا مولاي إن لنا أجرا إن كنا نحن الفائزين قال
أجل وإنكم لمن المحبوبين المقربين ، قال السحرة: أي عمار
ألق الذي أنت ملق .

فأجابهم عمار بل ألقوا الذي أنتم ملقون .

فلما ألقى السحرة عصيهم وحبالهم سحروا أعين الناس وأتوا
بسحر عظيم فتحولت عصيهم وحبالهم تتانين لها صوت
عجيب ، فأحجم في نفسه عمار خيفة فتمثل له بلال الولي
بشرا سويا يراه وهم لا يروه قائلا : لا تخف إنك أنت الأعلى
وألق عصاك تضحض ما يأفكون ...

فألقي عصاه فإذا هي تتين مبين له سبعة رؤوس في كل رأس
ثلاثة أفواه ترمي بالشرر اللهب .

وماهي إلا ومضة برق أو أقرب حتى التقم التتين تلك الحبال
والعصي ، وأطلق النيران بين الجمع الكبير حتى خيم الرعب

على الجميع ، وكان الملك من أولهم فألقى السحرة راكعين
قالوا يا أيها الملك : لاطاقة لنا بعمار إنه لحكيم مهيب ...
وعندما هزم عمار السحرة انضموا إليه ، وانضم معهم خلق
كثير من بني القبط ، ولكن الملك أخذ يهددهم ويتوعددهم
بالعذاب الأليم والثبور المبين، ولكن ذلك مازادهم إلا إيماناً
وتشبيهاً .

تحرك النسيم العليل وصار يداعب الوجوه فبدأت الحياة تعود
إلى الوجود رويدا رويدا وانقشع عن الناس الرعب والخوف
اللذان ضربا أطناب خيامهما على الناس جراء ما حدث في
ساحة الحرية في يوم الزينة.

كان الناس يظنون أن عماراً وأصحابه سينهزمون أمام الملك ،
ولكن هيهات لا تجري الرياح بما تشتهي السفن فبعدما شهدوا
على هزيمة الملك ولأول مرة يروه يهزم لأنهم كانوا يظنونهم
أقوى من أن يهزم حتى أبهت وقهر على أيدي ثلة من بني
إسرائيل بزعامة عمار ، لم يخطر بروع الملك ولو للحظة أن

ذلك الطفل الذي جاء إلى قصره تحدوه الأمواج ستكون نهايته
على يده.

انطلق امبيريك كالرياح المرسلة نحو بيت أم عمار ليزف إليها
نبأ نجاة عمار فوجدها قد ابيضت عيناها من الحزن فهي
كظيمة .

طرق الباب فقامت أم عمار نحو الباب لفتحه قالت : من
الطارق ، قال امبيريك وأنفاسه تتدافع هذا أنا امبيريك هلا
فتحت عني الباب لقد جئتك بخبر سيفرحك .

مارية وهي تحاول أن تخفي عبراتها وراء خمارها المسدول
على وجهها حقا أهي أخبار عن ابني عمار ... أخبرني
بسرعة أرجوك ... أخبرني امبيريك : أبشري يا سيدتي ما جئت
إلا من أجل ذلك...

فصاحت أم عمار وخرت على الأرض مغشيا عليها ثم جلس
امبيريك بقربها يرش عليها الماء وينتظر أن تستعيد وعيها
لما ذهب عن أم عمار الروع وأنتها البشري رحبت بامبيريك
وأجلسته في قاعة الضيوف ثم قدمت له كؤوس الشراب جعل

يحدثها عن أخبار عمار ، وكيف نصره الله على الملك وقبل أن يغادر عهدت إليه أن يخبر عمارا أن يأتي إليها في أقرب وقت .

عاد عمار إلى البيت فوجد أمه تنتظره وهي في غبطة وسرور . قالت أم عمار الحمد لله على سلامتك يا بني لقد خفت عليك كثيرا يا فلذة كبدي . قال عمار ماما حبيبتي لقد أنجاني الله من كيد الملك وجلس الابن وأمه يتحدثان حتى شبع كل واحد منهما من الآخر ، وبعد مرور أسبوع واحد خرج عمار إلى النهر ليستشق الهواء ويغير الجو فبينما هو على مقربة من النهر إذ سمع سمكة تناديه من قاع النهر فأصغى ليتها و رفع ليتها وظن أول الأمر أنه يخيل إليه ذلك الصوت ولكن وقع الصوت صار واضحا جاء هذه المرة سريعا فهرول نحوه حتى أدخل رجليه في النهر فأخرجت له السمكة رأسها وكانت قدر الذئب العظيم وفتحت فاهها فإذا فيه قرطاس كريم ، ثم قالت له : خذ هذا الكتاب وفك ختمه لترى ما فيه .

فك ختمه ليرى ما فيه فإذا فيه : إنه بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من بلال الولي وإنه قد آن لك أن تطهر الأرض من بني
القبط وتسري ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة ...

ولما قرأ عمار رسالة بلال الولي وذل بها لسانه عاد إلى
البيت مسرعا يقطر عرقا فاستقبلته أمه وقالت له ما بك يا بني

؛

فقص عليها الخبر فقالت له والله لا يخزك الله أبدا ، سر على
بركة الله . والله في عونك .

ذهب عمار إلى ساحة الحرية وأخذ مكبر صوت ثم جعل
ينادي يا بني إسرائيل هلموا يا بني إسرائيل هلموا ، وما زال
ينادي حتى اجتمع عليه من بني إسرائيل خلق كثير فجعل
يخبرهم بشأن رسالة بلال الولي فقام فيهم خطيبا يقص عليهم
نبأ رسالة بلال الولي التي تلقاها قبل حين .

ثم وعظهم موعظة بليغة وجلت منهما قلوبهم وذرفت منها
عيونهم فقال امبيريك ياسيدي كأنها موعظة مودع فأوصنا ،
قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل والصبر على ما سيصيبكم

من أذى بني القبط واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرى .

وصلت الأخبار إلى الملك أسرع من طرفة عين فإزداد حنقا على حنقه وغيظا على غيظه لأن جروحه من يوم الزينة لم تَنَدَمِ بعد وكان يفكر في خطة تمكنه من الثأر من عمار وأصحابه و الإيقاع بهم فكان هذا الخبر بلسما لجروحه ، قال الملك : أيها الوزير ما رأيك في عمار وأصحابه إنهم يفكرون في الهرب ؟ قال الوزير : يا مولاي الرأي رأيك والأمر أمرك فانظر ماذا ترى .

ضحك الملك ضحكة تفوح شرا ومكرا لألحقن بهم نكالا لم يذقه أحد قبلهم ولا بعدهم من العالمين ...

ولما مرت أيام طفق عمار يهيو نفسه وأهله للخروج وكان مواعده مع بني إسرائيل عند مدخل المدينة سحرا فشهدت المدينة تلك الليلة صلاصة عظيمة لم تعرفها قبل تلك الليلة كأن السماء سقطت على الأرض بنجومها وكواكبها وكان

عمار قد قسم بني إسرائيل إلى ثلاثة طوائف وأمر كل واحد منهم أن يحمل في يده قنديلا ...

فباتت الأرض تموج شهباً وقناديلاً مثل فتح ليلة فتح مكة المكرمة .

وعندما سمع الملك بخروجهم لبس أبهى حله وجمع جيشه وأعاناه وسار على أثر عمار وبني إسرائيل يروم ثنيهم عن مقصدهم .

التقى عمار ببني إسرائيل عند مدخل المدينة كما تواعدوا من ساروا جميعاً قاصدين الأرض المباركة حتى إذا كانوا قاب قوسين أو أدنى من النهر فإذا الملك وجنوده خلفهم مشرقين فتصايح بنوا إسرائيل يا عمار إنا لمدركون فقال عمار : كلا إن معي ربي سيهدين .

فسمع هاتفا يخاطبه من حيث لا يراه وهو يقول : اضرب بعصاك النهر ، فانفلق النهر فكان كل فرق مثل الجبل العظيم .

فعبّر عمار وبنوا إسرائيل النهر ، ثم أراد عمار أن يضرب النهر مرة أخرى لكي يعود على هيئته ، ولكنه سمع الهاتف نذلة أخرى يناديه أن اترك النهر رهوا إنهم قوم مغرقون .

وحين رأى الملك النهر انفلق ضحك على عادته ضحكة المستهتر المغرور قائلًا وملفتًا إلى جنوده : رأيتم النهر كيف انشق!! إنه لم ينشق إلى هيبة لي وتعظيمًا لشأني ، إنكم ستكونون من الشاهدين على ما سألق بني إسرائيل من النكال والوبال الأليمين .

أراد عمار أن يضرب النهر بعصاه ليعود إلى طبيعته ولكن الأمر جاءه سريعًا أن يترك النهر على هيئته.

ولما رأى الملك النهر باق على هيئته تقدم قومه فأوردهم النهر فأغرقوا جميعًا تاركين وراءهم جنات ونعيم ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، ثم أورثها الله بني إسرائيل.

وعندما أهلك الله بني القبط وبني إسرائيل ينظرون قفلوا إلى ديارهم فرحين وتوج عمار ملكا للبلاد وعاشت بنوا إسرائيل بعد ذلك في رغد عيش وهناء .

وبعد لَأَيِّ من الزمن قرر عمار الذهاب إلى أبي زينب ليزوره فسرت بذلك زينب سرورا بالغا إلا أن أم عمار لم تكن راضية عن هذه الزيارة في بادئ الأمر متذرة أنها أصبحت عجوزا رَقَّ عظمها وأنكر بصرها رؤية الأشياء ، ولكن عمار قد استطاع أن يقنعها بعد أخذ ورد بقبول الفكرة كما وعدها أنه لن يطيل عنها الغياب .

ثم خَلَفَ عمار على بني إسرائيل أخاه سليمان وأوصاه بالحكم بالعدل بين بني إسرائيل وبعد أن خلف عمار أخاه على بني إسرائيل وأقروه على ذلك خرج متوجها نحو ديار أبي زينب وخرج معه جماعة من بني إسرائيل يشيعونه ويحملون له الهدايا النفيسة حتى بلغوا مدخل المدينة .

تمت بتاريخ 25-03-2023م مساء ، نواكشوط